خلاصة الشعر

Sabah_ alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

حلمتُ بكم في نومتي فغضبتمُ
ولا ذنبَ لي إن كنتُ في النوم أحلمُ
سأطرد عني النوم كيلا أراكمُ
اذا ما أتاني النوم والناس نوّمُ
وقد زعموا لي انها نذرت دمي
ومالي بحمد الله لحمٌ ولادمُ
ستقتلُ جلداً باليا فوقَ أعظمِ
وليس يبالي القتل جلدٌ وأعظمُ

هذه الابيات للشاعر المؤمل بن أميل بن اسيد المحاربي، شاعر كوفي المولد من مخضرمي دولة بن امية ودولة بن العباس.

شعره جميل صالح ليس فيه عيب، ولم ينل شهرة واسعة الا في ايام المهدي ثم خمل ذكره.

كان يهوى امرأة حيرية اسمها هند وبها شبب ومن اجلها قال هذه القصيدة.

ومن ابياته المشهورة قوله

شفَّ المؤمّل يومَ الحيرةِ النظرُ
ليتَ المؤمّل لم يخلق له بصر

وعن هذا البيت تقول الرواية: انه رأى في منامه كأنما رجل قد ادخل اصبعيه في عيني الشاعر فقال هذا ماكنت اتمناه، فأصبح اعمى.

وتقول رواية اخرى ان الشاعر زار المهدي وهو في الري وكان لايزال وليا للعهد فمدحه بقصيدة فاجازه المهدي عليها بعشرين الف درهم. وعندما وصل خبر هذا العطاء الى المنصور الذي كان يعرف بالبخل والتقتير امر باحضار الشاعر.

وعندما وقف المؤمل امام ابو جعفر خائف وارتعب فهدأ الخليفة من روعه وطمأنه وقال لن تجد هنا الا خيرا، لكنك اتيت غلاما كريما فخدعته فانخدع، لكن ما عليك الان سوى ان تنشدني القصيدة التي اثابك عليها المهدي، قال الشاعر فانشدته اياها فاعجبته لكن الخليفة قال انها لا تساوي اكثر من اربعة الاف درهم ثم نادى على الربيع وطلب منه ان يدفع للشاعر اربعة الاف درهم ويسترد الباقي..

لكن الشاعر لم يفوت فرصته فبعد ان مات المنصور وتولى المهدي الخلافة تقدم الى القاضي بمظلمة رفعت الى المهدي وعندما قرأها المهدي قال لهم ردّوا عليه عشرين الف درهم فردوها له.

وعودة الى الابيات المتقدمة اقول، انها ابيات غزلية جميلة بعيدة عن التعقيد وواضحة المعنى وسهلة على القلوب فهو يعاتب فيها حبيبته التي عاتبته بسبب احلامه، والحلم شيء طبيعي لكل المحبين فكيف يستطيع المحب بصورة خاصة وغير المحب كذلك منع الاحلام؟ هذا اذا غضضنا الطرف عن احلام اليقظة التي يسبح في جنباتها كل المحبين.

فالشاعر يبرر هذا الفعل بأنه لا يستطيع ان يمنع نفسه من الحلم الذي اوجب مقاطعته.

ورأى الشاعر ان خير وسيلة لابعاد الاحلام هو طرد النوم والناس نوّم واذا منع احلام النوم فهل سيمنع احلام الصحو.

وجاء هذا كله لان الحبيبة حينما سمعت انه حلم بها هددته بانها ستقتله.

ولكن ماذا ستقتل هذه الحبيبة فقد اشرنا في البداية انه اصبح اعمى وقد عرف عنه الهزال والضعف اذن فالشاعر قد افرغ تهديدها من قيمته حينما صرح بانه لايملك لحما ولا دما.

اذن من كان هذا وضعه من الضعف وقلة الدم فانها لن تجد ما ستغمد به خنجرها او سيفها فالرجل عبارة عن جلد فوق اعظم ولذلك فهو لا يبالي اذا كانت صاحبته ستقتل جلدا وعظما..

ومن جميل قوله

يكفي المحبينَ في الدنيا عذابهمُ
والله لا عذّبتهم بعدها سقَرُ

وسقر هي جنهم

ومعناه ان المحبين يكفيهم ما يلاقون من عذاب الدنيا ويدعو الله ان لا يعذبهم في سقر.

طموح القصة القصيرة*

ترجمة عبود الجابري

القصة القصيرة كم هي متواضعة ومهمشة، كم هي بعيدة عن الغطرسة في أخلاقها، تجلس بهدوء هناك مطرقة كما لو انها تحاول أن لا ترى، وإذا ما حدث أن لفتت إليها الأنظار فإنها تفعل ذلك بعجالة بصوت هامس متخوف ومستعد لجميع احتمالات الخذلان. "انا لستُ رواية كما ترى، ولا حتى رواية قصيرة فإن كنت تبحث عن الرواية فأنا لست ضالتك" نادراً ما نرى شكلا أدبياً يهيمن على شكل آخر، ندرك ذلك ونكتفي بهز رؤوسنا مُعرفةً. هنا في أميركا، الحجم هو القوة. الرواية هي السوق الشامل وهي طائرة الأدب النفاثة. الرواية شرهة، لها رغبة في التهام الكون، القصة القصيرة المعدمة ماذا بوسعها أن تفعل؟

تستطيع أن تحرث بستانها، تمارس التأمل، تروي النباتات في الأصص الموضوعة على النوافذ، تستطيع أن تنخرط في دورة في الواقع الخلاق، ويمكنها أن تفعل ما تشاء طالما أنها لم تغادر موقعها، طالما حافظت على هدوئها وتنحّت عن وسط الطريق. بصوت صاخب تبكي الرواية وهي تختال في مسيرها، القصة القصيرة تنحني دائماً للغلاف، الرواية تمتلك السهول، تقطع الأشجار، بينما تنتبذ القصة القصيرة ركنا قصياً لتسحق تحت الأسوار.

من الطبيعي أن تكون هناك مزايا لصغر الحجم، حتى الرواية تحاول تحقيق تلك المزايا، الأشياء الكبيرة تنزع الى السيطرة دون إنتباه للتهذيب والرشاقة، صغر الحجم مملكة للأناقة والجمال، أنه كذلك مملكة للكمال. الرواية تسعى لاستنزاف عالم عصي على الاستنزاف، لذلك فإنها تناضل دونَ أن تبلغ ذلك، القصة القصيرة تسعى للمغايرة فطريّا، وعندما تفوتها أشياء عديدة، فإنها تستطيع أن تعطي شكلاً جميلاً لما تمسك به من بقاياها. كذلك فإن القصة القصيرة تطالب بنوعٍ من الكمال الذي تتملص منه الرواية بعد أن قامت بأقصاء جذري للقصة القصيرة.

الرواية عندما تتذكر القصّة، فانها تخاطبها وبنوع من الشهامة: "انتي معجبة بك" تقول ذلك واضعة يدها الخشنة على قلبها.." أنا لا أمزح أنت كذلك.. أنت كذلك جميلة، مهذبة جداً، منَ طبقة راقية، ورشيقة أيضاً". الرواية تحتوي ذاتها بصعوبة، بَعد ذلك ما الذي يمكنها فعله..؟ لا شيء أبداً سوى الكلام، ما تسعى إليه الرواية هو الفخامة.. القوة. وعميقاً في سريرتها فإنها تزدري القصة القصيرة، التي تكتفي بأصغر المساحات. الرواية لا تكترث لصرامة القصة القصيرة وزهدها ونكران ذاتها.

الرواية تسعى لإمتلاك المقاطعات، تسعى لإمتلاك العالم كله، بينما الكمال هو عزاء من لا يملكون شيئاً، ذلك ما تفعله القصة القصيرة حين تعلن عن ذاتها بتواضع، وتفاخر بمزاياها على استحياء، وتبدد وقتها تفكيراً بعلاقة نبيلة مع منافستها، تجلس باسترخاء وتطلق العنان للرواية لكي تحتل العالم شيئاً فشيئاً. الأشياء البرّاقة كما تبدو للعيان، حتماً يكون فيها أثرٌ من اختلاس، ذلك الأمر هو الذي روّض مالدى القصة القصيرة من توق، وفقاً للمزايا التي تتمتع بها، ولولا ذلك، لما كان منها الإعتراف العلني بما حولها، بسبب من الغريزة الشائكة في حماية الذات والسريّة التي يخلقها الظلم عند الآخرين في عالمٍ يحكمه غرور الروايات المتتابعة، تعلمت صغيرة الحجم أن تحفر طريقها بدأب لا يمكن اكتشاف مغاليقه، أتخيل القصة كالقصيرة تضمر في داخلها رغبة.

أتخيلها تخاطب الرواية:

"بوسعك أن تملكي كل شيء... أيّ شيء...، وجل ما أطلبه هو حبةُ رملٍ واحدة.." فتهزّ الرواية كتفيها غروراً وازدراءً وتلبّي لها تلك الرغبة. غير أن حبة الرمل تلك كانت طريق الخلاص للقصة القصيرة والمنقذ لها. استعرت هذه العبارة من ويليام بليك "أن أرى العالم في حبة رمل" تخيلوا ذلك... العالم في حبة رمل، ذلك يعني أن أي جزء من العالم مهما كان ضئيلاً فإنه يحتوي العالم كله في داخله.. ولنا أن نتخيلها بطريقة أخرى: إذا ركزت انتباهك في أي جزء مجهول صغير من العالم، فإنك لن تجد في عمقه سوى العالم ذاته. في حبة الرمل تلك ثمة المحيط الذي يرتطم بالشاطئ، والسفن التي تمخر عباب ذلك المحيط، والشمس التي تنعكس على تلك السفن، ثمة الريح الموسمية وملاعق الشاي في "كنساس"، انه بناء كوني كما ترى.

وثمة طموح القصة القصيرة، ذلك الطموح الرهيب الذي يختبئ خلف تلك البشاعات المرائية بدءا من الجسد، صعوداً باتجاه العالم جميعه. القصة القصيرة تؤمن بالتحول، تؤمن بالقوة الكامنة، بينما تفضّل الرواية وضوح المشهد، فهي لا تملك صبر حبة الرمل الوحيدة، التي تلمع ولا يمكن مشاهدتها. الرواية تود أن تجمع كل الأشياء بين أحضانها. الشواطئ والقارات، لكنها لن تنجح في ذلك أبداً، فالعالم أكثر اتساعا من الرواية.. العالم الذي يتشظى في جميع الإتجاهات. الرواية تقفز دونما هوادة من مكان الى آخر.. جائعة دونما قناعة، يعتريها خوف الوصول الى النهاية.. لأنها حين تتوقف ستكون مجهدةً من دون أي أحساس بالأمان... سيهجرها العالم.

القصة القصيرة تركزّ في حبة الرمل خاصتها.. في المعتقدات المفترسة التي كانت ولا تزال، تركز في راحة يدها، حيث ينطوي العالم جميعه، تتطلع في حبة الرمل، كما يتطلع العاشق في وجه حبيبته، إنها تنتظر اللحظة التي تفصح فيها حبة الرمل عن طبيعتها. في تلك اللحظة من البوح الصوفي، وعندما تنبثق الوردة الكونية من بذرة صغيرة، ستشعر القصة القصيرة بقوّتها، ستغدو أكبر من ذاتها.. ستغدو أكبر حجماً من الرواية.. ستكون شاسعة كما هو العالم. في ذلك المكان تقبع جرأة القصة القصيرة، وعدوانيتها المستترة، طريقتها في البوح، صغر حجمها هو مصدر قوتها، الكتلة الثقيلة للرواية تقوم بضربها في مشهد مضحك للضعف. القصة القصيرة تعتذر دون ذنب، جذلى بقصرها، تتمنى لو أنها تكون أقصر، تتمنى لو تكون كلمة واحدة، ولو تمّ لها العثور على تلك الكلمة التي تستطيع وصف المقام فإن الكون جميعه سيتوهج هادراً.

ذلك هو الطموح الشنيع للقصة القصيرة، ذلك هو الإخلاص الأعمق.

تلك هي عظمة الصغر

*ستيفن ميلهاوسر:

قاص وروائي أميركي له العديد من الأعمال الروائية والقصصية أبرزها "مارتن درسلر" التي حازت جائزة البوليتزر، ورواية "صورة شخصية للعاشق ١٩٧٧" و "مملكة مورفيوس ١٩٨٦"، وله خمس مجاميع قصصية منها "مملكة صغيرة١٩٩٣" و "الليل المسحور ١٩٩٩". يعمل أستاذاً في كلية سكيدمور في نيويورك ومنح جائزة الأكاديمية الأميركية للأدب ومعهد الفنون عن مجمل أعماله.

*موقع كيكا

مخرجة سويدية تنقل رواية الحرب والسلام إلى خشبة المسرح

بهرا-وكالات

كيف إستطاعت المخرجة السويدية "كارولينا فرند" أن تجسد وتنقل رواية الكاتب الروسي ليوتولستوي الحرب والسلام بأجزائها الثلاثة الطويلة وكل جزء يحتوي على ٢٨ فصلا؟ من أجل بلوغ المخرج أصدق الطرق لتجسيد الرواية على خشبة المسرح هو التزامه بملاحظات المؤلف والمحافظة على سقف وطقس الرواية، حاولت المخرجة إختصار الرواية والاحداث ومع ذلك كان وقت العرض المسرحي تقريباً اربع ساعات ونصف مع إستراحة واحدة والمعالجة المسرحية لأي عمل سردي ينبغي من المخرج معرفة التفاصيل الدقيقة في العمل الروائي، ويكون الاسلوب الاخراجي في نقل الذروة أولا البداية اي المقدمة أو النهاية في العرض المسرحي،...

فالجمهور العادي غير متخصص ربما لم يقرأ رواية الحرب والسلام يحتاج الى وقت كافي لكي يفهم الاحداث في فضاء الرواية الممسرحة، يقرأ المخرج الرواية ويحاول ان يشحن خياله من خلال الامكانيات الموجودة في الرواية ونسجها على خشبة المسرح وهذه تكمن في امكانيتة في إعادة قراءة النص وإعادة الكتابة، أو أحياناً يتطلب تعديل أو تصحيح الرواية وإعدادها للمسرح وفق معالجة إخراجية وخلق المعادل المسرحي مابين الجملة والكلمات وكذلك فترات الصمت والقيمة البصرية والحركية وخلق عنصر المتعة والتشويق.

وشغل المخرج المسرحي وعملية مونتاج النص وإعادة فهمه وتأهيله الى نص مسرحي على خشبة المسرح وخلق الفعل والاحساس وكل منظومة المخرج تبنى على تفسير وتأويل السرد الروائي الى فعل درامي كما في مسرحية "الحرب والسلام" فهي عرض مسرحي ذات نزعة مابعد الحداثة تدخل الى المسرح السويدي الجدية كمفهوم وقيم جمالية جديدة في المشهد الاول ودعوة حفل المدعوين، "انا باقلوفا" ترحب بالجميع وهي تردد كيف يكون حال المرء إذا كان يتألم معنوياً"، ومن أين يأتي في أيامنا الهدوء هذه إذا كان الانسان طيب القلب؟ بسبب المرض والحروب هل تستطيع روسيا أن تنقذ أوروبا وحدها وجيش نابليون على أبواب موسكو، والاميرة الصغيرة ليزا تتألم وتردد لما هذه الحرب الملعونة زوجي هجرني مفضلاً التعرض للموت.

وناتاشا الجميلة والوديعة تعشق وتتألم على أنغام الحب تشكو وتتذمر من الحرب ومن سلوك نابليون بونابرت ولكونه يعامل أوروبا كما يعامل القرصان سفينة كسبها، بيير ينظر في أفكاره ويعارض الحرب وهي مصدر إبادة البشر والعصر.

الانين والصراخ وإنفجارات القنابل وشم رائحة الدم والبارود، قد تعرض بييربيزوخوف في مشهد تنفيذ حكم ا لأعدام بمجموعة امامه وجاء دوره وقد اصيب بالذعر والهول من الموت وسط هذا الرعب، أن يحكم قانون الارض في زمن الحرب هو قانون إخضاع الحرية الانسانية للسجان وتنفيذ حكم الاعدام والذي لايمكن الافلات منه.

القمع والجراد*

حافظ خليل الهيتي

يحمل ورقا وقلما، يطوف على الحاضرين طالبا تدوين أسمائهم مع الإمضاء أمامها.. همست:

- من هذا المكنى "أبو سيف" الذي جمع للتو أسماء الحضور؟

- شخص يحب أن يبدو بمظهر المسؤول، أو الرجل المهم، ويطمح أن يكون وجيها! هكذا أجاب نسيم صديقي الذي يجاورني المقعد.

- هل هو فقيه؟ أراه يأمر بعض رجال الدين ويكلفهم بواجبات!

- ليس بالفقيه، إنما هو ابن سوق وصاحب علوه لتسويق المحاصيل ولاسيما التمور.

- ما علاقته بانتخابات المجلس المحلي؟

- هكذا هو.. تجده في كل شأن حبا بالظهور! علما أنه ليس من أهل المدينة العريقين ولقبه يدل على المدينة التي ينسب لها.

- ما باله يا نسيم لو كان من حفدة العوائل المعروفة بالفضل والقدم؟

- لاأفرق عنده البتة.. المهم لديه أن يعرف كيف يتسلق إلى كل ناصية من شأنها رفع مكانته كما يعتقد، ويدس أنفه في كل أمر من أمور المدينة التي كثر بل وساد فيها الغرباء!!

انتهى أبو سيف من عمله بعد أن دوّن آخر الحاضرين اسمه وإمضاءه.. توجه إلى الجوقة التي تسمي نفسها "وجهاء البلد"! انحنى قليلا وتمتم بصوت خفيض كلمات غير مسموعة وكأنه يحتاط لأمر ما أو انه غير راض لوجود أشخاص حضروا بدون دعوة، وهو يعدهم من العلمانيين الكفرة!!.. هؤلاء بنظره لايحق لهم المشاركة بالاقتراع .. وهو يريد أن تجرى الانتخابات بالدعوة السرية لا بالإعلان، شأنها شأن المقاولات التي يسيطرون عليها.. هذه هي ديمقراطية المقتعين!. استدار إلى جهة اليمين مقطبا حاجبيه.. وقد غادرت وجهه تلك الابتسامة الصفراء، وعيناه تلمعان بشكل يدل على مدى الخبث الذي يحمله هذا الرجل قصير القامة المتطاول!!

يتظاهر بحركات تمثيلية وهو يهمس لهذا وذاك من زمرة الوجهاء المزعومين! ، ليوحي للحاضرين بأنه قد أملى جملة من الأوامر التي تعتمد ولا ترد! .. رفع بيمينه طرف كوفيته البيضاء محولا اتجاه تدليها إلى جهة اليسار مارة من فوق عقاله الذي من ينظر إليه يشعر انه مثبت بمادة لاصقة خشية سقوطه لأنه وضع بغير مكانه الصحيح! وبعد كل تلك الحركات المفتعلة ارتسمت على محياه ابتسامة باهتة يخالطها شعور غامر وهو يسحب بيسراه دشداشته البيضاء إلى الأعلى قليلا، استدار بعدها جالسا على المقعد الذي يتوسط شلة المدّعين! أومأ برأسه إلى أحدهم بشيء من التعالي، سرعان ما استجاب له الأخير رافعا لاقطة مكبر الصوت.. نقر بإصبعه على مقدمتها وبدأ بإلقاء التحية على الحاضرين الغيارى الذين دفعهم الحرص على مدينتهم للحضور!.. وهذا الأخير كثيرا ما يتبجح بأنه من الساسة المخضرمين، يملك خبرة سنين من "النضال!!!" إلى جانب تردده على دواوين المشايخ ومكاتب المقاولين، عارضا بضاعته الكاسدة من أخبار الفضائيات المأجورة وتحليلات الساسة المزيفين! وبعد توجيه التحية استرسل بحشر ما يحلو له بجماجم الموجودين.

أبو سيف مشغول بعدِّ قصاصات ورق صغيرة تساوي عدد الموقعين.. وبطريقة استعراضية نهض متوجها إلى اللوح المعلق على الجدار المقابل لمدخل القاعة، هذه القاعة المخصصة أصلا لمجالس العزاء التي كثرت في ظل الملثمين.. بدأ بتثبيت أسماء المرشحين لعضوية المجلس المنتظر .. ما إن انتهى حتى قفل راجعا إلى المنضدة المقابلة للوجهاء الأفذاذ!! .. رفع اللاقطة بعد أن انتهى سياسينا المزعوم من إفراغ جعبته الخاوية أصلا إلا من مجموعة عبارات منتقاة لبعض المشاهير.. حمحم لشد الانتباه ثم أعلن أن باب الترشيح مفتوح للراغبين، وامن ذلك تقدم اثنين ممن يحملون مسدسات بأغمدة تتدلى من أكتافهم وبأيديهم قصاصات الورق هموا بتوزيعها على الحاضرين ملوحين لمن تسول له نفسه الاعتراض أو المنافسة! وهم على ثقة تامة بأن الطبشور الذي سيدون الأصوات على اللوح المبارك يعرف مسبقا أن من دوّن اسمه أبو سيف هو فائز لا محالة.

جميع الحضور قد فهموا الرسالة ولاذوا بالصمت رفيقهم المزمن!!

على حين غرة نهض ، نسيم، معلنا تمرده على كل الاستعراضات والرسائل المبطنة.. وأعلن عن ترشيح نفسه.. نسيم شاب ممتلئ البدن مفتول العضل قوي البنية عالي الهمة.. كيف لا وهو حداد المدينة الذي يلين له الحديد وهو يصنع معاول ومعازق الفلاحين القادمين من الضواحي، ومطارق وفؤوس البنائين من أهل المدينة، وكل من في القاعة يعرف صفات هذا الصنديد الذي لايتوانى عن تقديم المساعدة لطالبها حتى وإن عرّضته تلك المساعدة للخطر . من ابرز خدماته إصلاحه لتشققات الجسر الحديدي الوحيد في المدينة كلما تطلب الأمر ذلك بمبادرة شخصية منه دون مقابل .

ذاب جليد الصمت في القاعة وعلت تمتمات وهمهمات الحضور بين مستنكر وهم الغالبية، ومؤيد أسعدته المبادرة التي لا يجرؤ أحدهم على اتخاذها.

أبو سيف يتمتم بكلمات لم يسمعها أحد لكنها مفهومة للجميع من أن هذا المتمرد قد أزعجه.

اشرأبت الأعناق إلى اللوح المبارك، أحد المسلحين يدون أصوات المقترعين أمام الأسماء المرشحة.. أبو سيف يتبختر أمام الحضور حاجبا بعض الأحيان اللوح عن عيونهم! فهو ليس بحاجة للنظر إليه لأنه مطمئن من نتيجة الاقتراع.. توزعت الأصوات عند الفرز بنسب متقاربة بين المرشحين باستثناء اسم حدادنا البطل الذي يحضى بصوت واحد بعد دفعة للآخرين.

بلغت الأصوات لأعلى المرشحين قرابة المائة ثم الأدنى فالأدنى دون فرق كبير إلا اسم نسيم فقد حصل على عشرة أصوات من بينها صوته وصوتي وثمانية أصوات جاءت من الذين ينعتهم أبو سيف بالعلمانيين الكفرة!!

مرت بضعة أشهر على تشكيل المجلس المرتجى.. نسيم لازال بعمله يطوع الحديد لإرادته.. وذات يوم تناقل الناس أمر فتوى صادرة عن "الشيخ" أبو سيف فرض بموجبها غرامة كبيرة مع مصادرة سلاح العائلة التي أطلقت النار باتجاه منزل احد أفراد حاشيته، المتهم بخطف وقتل "طه" الذي كان يكثر من الإعلان عن معارضته لنهجهم الذي أسموه بالمقاومة... ثم توالت الفتاوى وتتابعت المصائب.. قتل ثلاثة شبان بدعوى احتسائهم الخمر.. قتل رحيم بحجة انتسابه للشرطة السرية.. قتل اثنا عشر سائقا لنقل البضائع وأشاعوا عنهم بأنهم ينقلون بضائع للمحتل.. القائمة تطول وأهل المدينة ينكبون كل يوم ومجلسهم الموقر ينعم بأموال المقاولات الوهمية بعذر إنهم يمولون المقاومة لطرد المحتل.. وتستمر عجلة الموت تدور.. تقطع جميع الطرق العامة وتنهب البضائع... شلت الحياة تحت زيف الشعارات.. والشباب يتساقطون.. وعقد الشهداء ينتظم ويطول.. نبراس قتل بحضن أمه في وضح النهار.. فاتح .. عامر .. ماجد.. مؤيد.. طال أمد طغيانهم.. حتى باتوا هم الموت ليس غير الموت.

بعد كل ذلك السلب والنهب يتسلمون ما تسمى بالمساعدات الإنسانية القادمة من دول الجوار فهي بالأساس مرسلة لهم بموجب تنسيق مسبق.. يباع ما غلى ثمنه .. ويوزع الفتات على العوائل التي تؤازرهم أو احد أبنائها يعمل لحسابهم.. كذلك للذين يوفرون المأوى للغرباء الوافدين من خلف الحدود.

استشرى الفساد وانتشر الوباء لدرجة لم يعد يطمئن المرء على نفسه، حتى القابع في بيته والذي لا يغادر المنزل إلا لضرورة قاهرة كالتي اضطرتني للخروج.. وما أن بلغت السوق القديم حتى تعالت أصوات اطلاقات نارية كثيفة رافقها اضطراب حركة المارة وسارع أصحاب المحال إلى غلق أبواب محالهم خشية البلاء القادم.. شاب أقفل راجعا وهو شاحب الوجه شديد الارتباك وقد تعالت الأصوات.. مع صراخ وعويل طفل.. صرخ احدهم سائلا :

- ما الذي حصل وما تلك الاطلاقات؟

- مجموعة من المسلحين ترجلوا من سيارات "اوبل" كانت تقلهم شاهرين أسلحتهم على الناس.. واثنان منهم توجهوا إلى محل حدادة وأمطروا صاحبه بوابل من الرصاص وارادوه قتيلا أمام ولده الصغير...

حينها أدركت أن "نسيما" قد لحق بمن سبقه في اعتلاء ناصية المجد ليكون جوهرة في عقد الشهداء الذي يطوق جيد العراق.

• موقع الحوار المتمدن الالكتروني.

"نهاية التاريخ"، عند نيتشه

عصام عبدالله

فكرة "نهاية التاريخ" ولدت في أعمال "نيتشه"، في المسافة التي تفصل الجزء الثاني من "خواطر في غير أوانها.. في منفعة التاريخ للحياه وضرره" عام ١٨٧٤، عن مجموعة مؤلفاته التي بدأها بعد ذلك ببضعة أعوام: ب"إنساني، إنساني جدا" عام ١٨٧٨، والتي تضم "الفجر" عام ١٨٨٠، ثم "العلم المرح" عام ١٨٨٢. ففي "خواطر في غير أوانها" يطرح نيتشه للمرة الأولى قضية "التبعية"، أو ذلك التطرف في الوعي التاريخي الذي يحاصر الإنسان، ويمنعه في الوقت نفسه من ابتكار أي تجديد تاريخي حقيقي."١".

وهو يشير إلى التضخم "التاريخي" أو حمى التاريخ التي أصابت ألمانيا في القرن التاسع عشر، بسبب ذيوع النزعة التاريخية التي أعلت من شأن فكرة التطور. ويعيب نيتشه على رجال التاريخ "الذين يعتقدون أن معنى الوجود يتجلى شيئا فشيئا خلال التطور، في كونهم لا يلتفتون إلى الوراء إلا لكي يفهموا الحاضر انطلاقا من التطور السابق. إنهم لا يعلمون أنهم بالرغم من معرفتهم التاريخية، فإن أفكارهم وأعمالهم بعيدة عن التاريخ" "٢".

إن "التبعية" تمنعهم من امتلاك أسلوبهم الخاص، إلى درجة أنها تقصرهم على استلهام كل شئ من الماضي، الذي تحول بالنسبة لهم إلى مخزن كبير للملابس المسرحية. وهو ما يصفه نيتشه بالمرض التاريخي الذي يصعب الشفاء منه. بيد أن كتابه "إنساني، إنساني جدا" هو الذي أحدث تبدلا عميقا في موقفه من "المرض التاريخي"، فإذا كان في كتابه "خواطر في غير أوانها" عام ١٨٧٤ كان يرقب بفزع "إنسان عصره" وهو يعود للماضي ويجتر أساليبه اجترارا، فإنه في بداية عام ١٨٨٩ كتب واحدا من الخطابات الهائية التي بعث بها إلى صديقه الفيلسوف الألماني "بوركهارت"، يقول فيه: "في واقع الأمر، أنا كل أسماء التاريخ" "٣".

ورغم أن هذا التصريح قد جاء أثناء الانهيار النفسي الذي لم يشف نيتشه منه حتي وفاته عام ١٩٠٠، فإنه يضئ موقفه الجديد تجاه التاريخ منذ كتابه "إنساني، إنساني جدا" عام ١٨٧٨. ففي هذا الكتاب الأخير يطرح نيتشه تصوره لما يمكن اعتباره شفاء من المرض التاريخي بصوره جديدة ومبتكرة للغاية، أو فلنقل نهاية "الحداثة" ونهاية تصور التاريخ المرتبط بها، وذلك بتحليل الاتجاهات والعناصر التي تتشكل منها.

فإذا اعتبرنا أن الحداثة تتميز بأنها حقبة التجاوز والجدة التي تهرم مع الوقت وتترك مكانها لجدة أكثر حداثة منها، في حركة لا تنضب، تثير اليأس أمام كل طاقة خلاقة بإصرارها على فرض "الحداثة" على انها الإنموذج والشكل الوحيد للحياة، فإن الخروج من دائرتها عن طريق "التجاوز"، يصبح أمرا مستحيلا.

لذا رأى نيتشه أن "التجاوز" فكرة حداثية أصيلة، لا تستطيع أن تخرجنا من الحداثة، التي لا تتأسس فقط انطلاقا من فكرة التجاوز الزمني: بمعنى تتالي الظواهر التاريخية والأحقاب والمراحل الزمنية، والتي يعيها الإنسان من خلال أكداس الكتب التاريخية، وإنما تتأسس أيضا عن طريق تسلسل شديد الصرامة من خلال فكرة "التجاوز" "النقدي ذاتها"."٤".

من هنا فإن قرار "نيتشه": إجراء نقد للقيم الكبري عبر "الجنيالوجيا" أسفر في النهاية عن "تحلل" قيمة "الحقيقة" ذاتها، ذلك لأن الاعتقاد بتفوق الحقيقة على اللاحقيقة أو "الخطأ"، هو اعتقاد مبني أساسا على قناعة بأن الإنسان يستطيع معرفة الأشياء في ذاتها، لكن "الجنيالوجيا" تكشف عن انها محض سلسلة من الاستعارات والتأويلات، مما يجعل مجرد إدعاء المعرفة مستحيلا.

وعن طريق تحلل مفهوم "الحقيقة"، يصبح قول نيتشه: "موت الإله" في الشذرة "١٢٥" من كتابه "العلم المرح"، هو المحصلة النهائية لبلوغ التحليل آخر مداه. وحسب "هيدجر": "فإن فكرة موت الإله "لا تنصب على الإله المسيحي، ولا على آلهة الأديان بوجه عام، بل ان المقصود بها هو (عالم ما فوق المحسوس) وعالم الميتافيزيقا والمثل بوجه عام". "٥".

فهو في عبارته الشهيرة: أن الله قد مات، لا يعبر عن موقفه الشخصي في الإلحاد فحسب، بل يعبر عن اعتقاده بأن العالم الآخر، بكل صوره الفلسفية، فقد دعامته وإنهار من أساسه. وبفضل هذه النتيجة "العدمية" يمكن الخروج – حسب نيتشه– من "الحداثة"، مادام مفهوم "الحقيقة" لم يعد قائما، ومادام قد زال كل أساس للاعتقاد في "الأساس"، وتم إلغاء البحث عن "الأساس"، فلن نستطيع الخروج من الحداثة بتجاوز نقدي، وإنما يجب البحث عن مخرج آخر.

هنا بالتحديد سنعثر على لحظة ميلاد ما بعد الحداثة" في الفلسفة، وهي اللحظة التي لم ندرك بعد كل مدلولاتها وأبعادها.. والتي سنتوقف أمامها طويلا في المقال القادم.

هوامش:

١- جياني فاتيمو: نهاية الحداثة - الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة بالجمهورية العربية السورية، دمشق ١٩٩٨، ص: ١٨٤.

٢- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

٣- المرجع نفسه، ص: ١٨٥.

٤- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

٥- فؤاد زكريا: نيتشه، سلسلة نوابغ الفكر الغربي "١"، دار المعارف، ١٩٥٦، ص: ٣٩.

* موقع ايلاف.